

## السياق الكوكبي للدولة والمجتمع في إيران

يُعنى هذا الكتاب بديناميات إيران الاجتماعية/الاقتصادية والسياسية الداخلية. ونفوذها وتأثيرها في المنطقة نتيجة لطبيعتها كقوة دينية/سياسية. تُبيّن الأصوات المُطلعة للإيرانيين واللبنانيين والعراقيين والفلسطينيين والمصريين التي سجّلها الكتاب كيف أن ضغط مختلف الجماعات بالداخل الإيراني وفي أنحاء المنطقة ظل يعمل على تشكيل أنوار إيران الداخلية والإقليمية والدولية.

تُرَكِّزُ الفصول الثلاثة الأولى على تعقيد بُنى إيران المؤسسية، وتوضح التطورات الاجتماعية/الاقتصادية وأيضاً أوجه القصور التي لا يمكن إنكارها للدولة الإيرانية والمجتمع الإيراني منذ ثورة عام ١٩٧٩. أدت تلك التطورات إلى خلق تناقضات داخل الدولة والمجتمع الإيراني تشكلت على إثرها حركة ديموقراطية قوية منذ منتصف التسعينيات. وليس هذا بالأمر الجديد، إذ إنه استمرار للحركات التاريخية منذ الثورة الدستورية فيما بين عامي ١٩٠٦-١٩٠٧. وتأميم النفط عام ١٩٥١ وثورة ١٩٧٩، والتي تتشارك جميعها في عامل النضال من أجل الديموقراطية والاستقلال عن الهيمنة الإمبريالية.

وعلى مدى عقود طويلة، هدد هذا النضال المصالح الغربية الاقتصادية

والسياسية في إيران. وكان الرد المعتاد من اللاعبين الكوكبيين، وبخاصة الولايات المتحدة، يأتي في شكل قمع حركات اليسار العلماني والقوميين في إيران، بل وحقا في المنطقة جميعها، ثم تطور مؤخرا ووجه القمع ضد الحركات الإسلامية. ظلت تلك القوى الغربية تدعم الأنظمة الديكتاتورية. بل وذهبت إلى خلق جماعات متطرفة مثل طالبان والقاعدة كي تضمن مصالحها الاقتصادية والسياسية في المنطقة. بيد أن الحركات الإسلامية الحديثة التي حلت محل حركات اليسار والحركات القومية الاجتماعية اكتسبت دعم غالبية شعوب المنطقة تحديدا من خلال التعبير عن معارضتها للسياسة الأمريكية والإسرائيلية. من ثم، مازال الغرب يواصل عداه ضد تلك الحركات على الرغم من أن الحركات الإسلامية الرئيسية،

ويضغط من الغالبية، تعتقد في عدم وجود تعارض بين الإسلام والحداثة والديموقراطية. عمقت ظاهرة الإسلاموفوبيا الملموسة مشاعر الغضب والاستياء العميق بين غالبية شعوب المنطقة، والذين يشعرون أن ثقافتهم تتعرض لهجمة خبيثة شرسة مما دفعهم لتبنى مزيد من مظاهر التدين والتوجهات القومية. أشعلت مطالبات الولايات المتحدة فرض الديمقراطية من أعلى المشاعر القومية/ الدينية وأدت إلى نزاع الشرعية عن حكومات المنطقة الموالية للغرب. فضحت الحرب على العراق وأفغانستان، ومعها «الحرب على الإرهاب»، وما حدث في جوانتنامو، وأبوغريب في العراق وباجرام في أفغانستان - فضحت خطاب الغرب المعيب حول إقامة الديمقراطية الغربية في الشرق الأوسط. وكما ورد في هذا الكتاب، فحيثما ساحت الفرصة للشعوب بالتصويت الانتخابي، كانت أصواتهم تذهب بغالبيتها إلى التنظيمات الإسلامية مثل حزب الله وحماس. وكما يرى عدد من الباحثين والمراقبين، يواجه الغرب، وبخاصة الولايات المتحدة أزمة شرعية إقليمية ودولية، ولم يعد خطاب حقوق الإنسان وحقوق النساء والديموقراطية يجد أصداء في الشرق الأوسط وخارجه.

وفي هذا السياق، ركزت الفصول من ٤: ٧ على كيفية نظر الجماعات المختلفة في لبنان والعراق وفلسطين ومصر لإيران. فلكي نخرج بنظرية عن أثر إيران ونفوذها في المنطقة، تفحصنا استجابات المجموعات المختلفة لسياسة إيران والولايات المتحدة الخارجية، وكانت الخلاصة هي أن فشل سياسات إسرائيل والغرب في المنطقة عملت على تقوية وضع إيران وعلاقتها بجيرانها حيث عزز موقفها المتحدى للغرب تأثيرها ودورها إلى حد كبير. أدى هذا إلى أن ينظر معظم أهالي المنطقة إلى

حكومات بصفتها عميلة للولايات المتحدة تضحي بمصالح شعوبها الاقتصادية والسياسية والثقافية في سبيل خدمة النيوليبرالية والصهيونية. ينظر كثيرون إلى إيران بصفتها نموذجا لهزيمة سلطة الدولة، وللممارسة الثورية. وفي هذا السياق، فإنه بالرغم من مختلف أشكال القوميات، والاختلاف السنّي الشيعي، وتصوير الإعلام الكوكبي النافذ لإيران على أنها قوة شيعية تهدد الثقافة السنّية والهوية العربية القومية، تستمر شعبية إيران في التنامي. يركز هذا الفصل الآخر على السياق الكوكبي لدولة إيران الدينية/ السياسية، وعلى كيفية أن شعبية السياسة الخارجية الإيرانية لدى شعوب المنطقة أدت إلى نفورهم من الغرب وإلى عدااء الغرب وحكومات المنطقة لإيران.

#### «إمامنا أومع الإرهاب»:

أدت ثورة ١٩٧٩ واتسحاب إيران من التعاون العسكري والتجاري مع الغرب إلى تهديد المصالح الاقتصادية والاستراتيجية للولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة. تحدث الثورة أيضا مصالح الغرب الاجتماعية/ السياسية، حيث إن غالبية شعوب المنطقة، وقد استلهموا الثورة، بدأوا يسألون أنظمتهم الموالية للغرب، كما إن عدم اهتمام تلك الأنظمة بقضايا الفقر والبطالة وغياب حقوق الإنسان الأساسية، أدى إلى تحدى تلك الشعوب لقياداتها. ومن هذا المنطلق، فإن شعبية النموذج الإيراني تهدد النفوذ الغربي في المنطقة.

في يناير ١٩٨٠، أعلن الرئيس جيمي كارتر أن أية محاولة للتحكم في الخليج الفارسي ستعتبر هجوما على مصالح الولايات المتحدة وستواجه بأية وسائل ضرورية بما في هذا المواجهة العسكرية. كذلك، فقد ذهب هنري كيسنجر تكارارا إلى أن الولايات المتحدة على استعداد للتعاون مع

إيران طالما توافقت سياساتها مع آراء واشنطن، وإلا ستتخذ واشنطن ما يلزم من التدابير لتدمير تأثير إيران ونفوذها في المنطقة. في بداية التسعينيات، وضع بول وولفويتز، وكيل وزارة الدفاع ما بين عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٥، الخطوط الأساسية لاستراتيجية المحافظين الجدد في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا بحيث تظل الولايات المتحدة القوة المهيمنة على المنطقة وتحافظ على إتاحة بترونها للولايات المتحدة والغرب من خلال الحروب الاستباقية. وفي يناير ٢٠١٠، وأثناء استجوابه أمام لجنة Chilcot حول الحرب على العراق، ذكر طوني بليير رئيس وزراء المملكة المتحدة فيما بين عامي ١٩٩٧ و٢٠٠٧، ذكر إيران ثمان وخمسين مرة، وبدون أن يُبدى أى أسف لإراقة دماء العراقيين التي ساعدت عليها سياسته، دعا إلى شن حرب ضد إيران بذريعة أنها بارتباطها بالمجموعات الإرهابية تمثل تهديدا خطيرا بخاصة كما أنها مسؤولة عن كثير من زعزعة الأوضاع في الشرق الأوسط.

العامل المشترك بين مثل تلك التعليقات جميعها هو ما عبر عنه تصريح جورج دبليو بوش سني السمعة في سبتمبر ٢٠٠١ في خطاب له أمام كونجرس الولايات المتحدة حينما أبلغ بلدان العالم «إما أنكم معنا أو مع الإرهابيين». بتعبير آخر، فإن أى بلد في الشرق الأوسط يتحدى مصالح الغرب سياسيا أو اقتصاديا يواجه تهديدات ثارية.

### **الحرب على إيران:**

أثناء الحرب الإيرانية/ العراقية فيما بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٨، دعمت الولايات المتحدة نظام صدام حسين كوسيلة لاحتواء الثورة الإيرانية وأثناء ١٩٨٦ - ١٩٨٨، وفي رد على احتمال انتصار إيران على العراق، تم نشر القوات البحرية والجوية الأمريكية لضمان عدم خسارة العراق

الحرب. بيد أنه، وكما جاء في الفصل الخامس، قام صدام حسين (الذي كانت الولايات المتحدة تدعمه ككتل مضاد لإيران) بتجاوز الخط المرسوم له في تراتبية القوة الاقتصادية والعسكرية الكوكبية بأن اجتاح الكويت عام ١٩٩٠. وبناء على ذلك، تم غزو العراق واحتلالها والإطاحة بصدام. لم ينجم عن الحرب على العراق التصالح مع إيران، بل كانت الحرب هي ضمن سياسة «الاحتواء المزدوج» التي كانت موجهة ضد البلدين معا، والتي بدأها بوش الأب، وواصلها بيل كلينتون بعد حرب الخليج عام ١٩٩١.

وكما جاء في الفصل الأول كان من تبعات الحرب الإيرانية/العراقية خلق حالة طوارئ أدت إلى وجود دولة أكثر مركزية وسلطوية فرضت مزيدا من الأسلحة، وقمع النساء واليسار العلماني والقوميين. كانت سنوات الحرب قد عملت على تراجع القومية الإيرانية وزيادة مظاهر التدين. من ثم، وكما هو الحال دائما، أنتجت الحرب دولة قوية وساعدت على تشكيل السياسات الداخلية والخارجية. أتاحت للأجنحة المحافظة من الإسلاميين تدعيم سطوتهم، وبمرور الوقت، نجم عن تهديد الغرب المستدام بالحرب على إيران، وفرضه العقوبات عليها، مستوى متعاظم من القمع السياسي. وطوال التسعينيات وحتى الآن، وفي ظل حكومة خاتمي الإصلاحية (١٩٩٧-٢٠٠٥) وحكومة أحمدى نجاد المحافظة منذ عام ٢٠٠٥، استمر عدااء الغرب لإيران، على الرغم من حقيقة أن النظامين تبنيًا النيوليبرالية الاقتصادية، ودعوات في مناسبات عدة، إلى تحسين العلاقات مع الغرب.

ظلت ثمة تقارير؛ منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بأن الولايات المتحدة تخطط لضربة عسكرية ضد إيران. ذهب سيمور هيرش الكاتب والمحقق

الصحفي، والذي يكتب بانتظام في دورية النيويورك، ذهب إلى أن الاستعدادات للحرب على إيران بدأت عام ٢٠٠٢. بعيد انتخاب جورج دبليو. بوش، دعا علناً وبوضوح إلى «تغيير النظام» في إيران. تقول التقارير أن ديك تشيني، نائب الرئيس أعد في عام ٢٠٠٥، خطة للحرب على إيران تشمل استخدام الأسلحة النووية. كانت الخطة تقضى بنشر ٢٠٠ قاصفة استراتيجية ضد ١٠٠٠٠ هدف، قُدِّرَ فيها قتل ٢ مليون شخص في وقت قصير.

وعلى الرغم من التهديدات المستدامة بالحرب، قامت إيران في عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٣، في ظل إدارة خاتمي، وفي عام ٢٠٠٨، في عهد أحمدي نجاد بتقديم مجموعة من المقترحات إلى الولايات المتحدة تضمن استقرار الوضع في أفغانستان، وحلاً للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. كان ما طالبت به إيران نظير ذلك هو ضمان بعدم هجوم الولايات المتحدة عليها أو محاولة فرض «تغيير النظام» بالقوة، وبأن ترفع الحظر على عضوية إيران لمنظمة التجارة العالمية. ومن المفارقات، أن كان رد فعل إدارة بوش هو مزيد من العداة، قام بتزويد إسرائيل بأسلحة خاصة لتهديد إيران. تعمل القوات الجوية الإسرائيلية (والتي هي الأكثر تقدماً وتطوراً من قوات أي من بلاد النايو باستثناء الولايات المتحدة) من قواعد أمريكية موجودة شرقي تركيا و تقوم بطلعات مستدامة حول الحدود الإيرانية بهدف تهديد إيران.

علاوة على ذلك، فإن إيران، منذ احتلال الولايات المتحدة للعراق، وغزو قوات النايو لأفغانستان، ونشر الولايات المتحدة لقوات هائلة في الخليج وتركيا وباكستان، والتواجد العسكري الأمريكي المؤبد في أذربيجان، فإن إيران محاطة بقوات عسكرية أمريكية وقوات متحالفة معها. وفي عام

٢٠٠٧ بدأت الولايات المتحدة فى إنشاء قاعدة عسكرية لها فى العراق على مسافة أقل من خمسة أميال من الحدود الإيرانية. أدت هذه التهديدات والعقوبات، وبدلاً من تغيير النظام، إلى معاناة الشعب الإيراني. أُنشئت بنية إيران الأساسية، وبخاصة صناعتها النفطية وخطوط طيرانها المدنية، فى عهد الشاه، ومازالت تعتمد على قطع الغيار المصنوعة فى الولايات المتحدة وغير المتاحة فى ظل نظام العقوبات المفروض نتيجة لهذا، تواجه الخطوط المدنية أخطار الحوادث. علاوة على ذلك، فإن للعقوبات أثراً ساحقاً على قدرة إيران على إعادة بناء مصافىها النفطية وتحسينها، ومن ثم لا تقلص فقط صادرات نفطها الخام إلى الأسواق النفطية بل استخدامه محلياً. بل إنه حتى ما يُسمى بـ «العقوبات الذكية» التى تستهدف مؤسسات الدولة بما فيها الحرس الثورى. كان لها تأثير على عدد كبير من عامة الناس لأن هذه المؤسسات، هى فى النهاية جزء من دولة إيران واقتصادها.

### تغيير النظام:

مازال الغرب مستمراً فى خطاب «تغيير النظام» فى إيران بأساليب متنوعة. فى عام ٢٠٠٥، دعا مايكل لدين، من المحافظين الجدد، والذى يعمل بالأمريكان إنتربرايز إنستيتيوت، دعا إلى فكرة وجوب فدرلة إيران. تقوم القوات الخاصة الأمريكية والاستخبارات الإسرائيلية والعملاء العسكريون، بعمليات سرية داخل إيران لإشعال النزاعات الإثنية فى عدة أقاليم. يقول سيمور هيرش، إن كونجرس الولايات المتحدة وافق فى عام ٢٠٠٧ على تصعيد كبير فى العمليات السرية ضد إيران، وخصص ٤٠٠ مليون دولار لزراعة البلد من خلال التجسس على برنامجة النووى واختراق الأقليات الإثنية.

وياسم تمويل الديمقراطية في إيران، خصصت كوندليزا رايس ٧٥ مليون دولار إضافية للإنفاق على وسائل الدعاية القائمة التي شملت بث التليفزيونات الفضائية مثل صوت أمريكا باللغة الفارسية، والتي تهدف إلى تغيير النظام في إيران. كان رد الحكومة الإيرانية هو اعتقال النشطاء وإغلاق كثير من المنظمات غير الحكومية. وفي عام ٢٠٠٨، خصصت «يوسايد» ٢٠ مليون دولار للمساعدة على «تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان وحكم القانون في إيران». ظل كثير من نشطاء المجتمع المدني في إيران يدينون هذه التمويلات لأنها تؤدي إلى نتائج عكسية ويقولون إن الأموال لا تصل إلى الناس بل تذهب إلى المجموعات التي تتخذ الغرب مقرا لها مثل المجاهدين الإيرانيين والمجموعات المؤيدة للنظام الملكي. إن هذا التمويل الذي توسع في عهد جورج دبليو. بوش مازال مستمرا في عهد أوباما رغم تصريحاته بأن الولايات المتحدة لن تتدخل في الشؤون الإيرانية.

ومنذ انتخابات ٢٠٠٩ الرئاسية، والحركات التي تدعمها الغرب مثل مجاهدي إيران والملكيين، تحاول اختراق الحركة الخضراء. عمدت قيادات الحركة إلى النأي بنفسها عن هؤلاء المُغرضين أو أفعالهم، وعن الحكومات الغربية من منطلق اعتقادهم أن هدف هؤلاء ليس هو نشر الديمقراطية وتعزيزها بل تحويل إيران إلى نظام تابع عميل ووقف برنامج إيران النووي وتغيير موقفها من إسرائيل. وكما ذكرنا في الفصل الثاني، فقد أعلن قادة حركة الإصلاح والديموقراطية مرارا أنهم لا يهدفون إلى تقويض الدولة الإسلامية، أو الاعتراف بإسرائيل أو تقليص تأثير إيران في المنطقة. وفي تلك الأثناء، تتواصل العمليات العلنية والسرية ضد إيران، الأمر الذي سيؤدي إلى إضعاف حركة الديمقراطية.

## القنبلة النووية،

استخدم الغرب أيضا مسألة برنامج إيران النووي لدعم تهديداته وتبريرها، وفي هذا السياق، فمن المهم توضيح أن هذا البرنامج كان قد بدأ في الخمسينيات والستينيات بتشجيع تكنولوجي وسياسي من الولايات المتحدة. توقف برنامج إيران النووي لخمس سنوات بعد سقوط الشاه وثورة ١٩٧٩. وأثناء الحرب العراقية، عمد صدام حسين إلى قصف مواقع إيران النووية عدة مرات وبعد الحرب، وقّعت إيران مع الاتحاد السوفييتي معاهدة تعاون نووي لبناء موقع بوشهر في جنوب البلاد. وفي عام ١٩٩٥ وقّعت إيران اتفاقية أخرى مع روسيا لإعادة بناء المفاعل النووي وتقديم الدعم التكنولوجي لإنتاج الطاقة النووية بإيران. ومنذ وقتئذ والولايات المتحدة وإسرائيل تتهمان إيران بتطوير أسلحة «دمار شامل». بيد أن إيران هي إحدى الموقعين على معاهدة منع الانتشار النووي، ومثل بقية الموقعين، يؤكد البند الحادي عشر من هذه المعاهدة على حق الموقعين في إنتاج الطاقة النووية من أجل الاستخدامات السلمية. وقد صرحت إيران تكرارا بأنها ملتزمة بإجراء التفاوضات، بدلا من المواجهة، مع القوى الغربية، من موقع الندية، للوصول إلى حل سلمي للمسألة النووية. كما أن مسئوليتها صرحوا أيضا بالالتزام إيران بعدم انتشار الأسلحة النووية، بل ونزعها والقضاء عليها على مستوى العالم، لأن مثل تلك الأسلحة تعتبر تهديدا لأمنها وللحياة البشرية جمعا. من ثم، فقد أعلنت استعدادها للالتزام بنصوص معاهدة منع الانتشار النووي وبالعامل على إنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط. ومقابل ذلك، وبضغط من المحافظين الجدد في الولايات المتحدة وداعميهم الدوليين، ظلت إيران تواجه التهديدات

والترويج بناء على تكهنات لا أساس لها بنواياها لإنتاج أسلحة دمار شامل.

أيضا، استخدم الإعلام والسياسيون الغربيون تصريح أحمدى نجاد الذى ينكر فيه الهلوكوست ذريعة لشيطنة إيران وتمهيد الطريق لتوسيع مدى الحروب القائمة بالمنطقة لتشمل إيران. ربما كان موقف الرئيس الإيرانى يمثل محاولة ساذجة منه لتأكيد وضعه القيادى فى المنطقة. وفيما أنه يجب شجب مثل هذه التصريحات بأسلوب مطلق فلا بد من القول إن إنكار الهلوكوست والمشاعر المعادية للسامية قد أصبحت منتشرة فى المنطقة<sup>(١)</sup>، وهذا أمر يبعث على عميق القلق إذ إن هذا النمط من معاداة السامية بجذوره الأوربية لم يكن معروفا فى العالم الإسلامى، وثمة أدلة كثيرة على التعاون بين اليهود والمسلمين وقت ازدهار الحضارة الإسلامية. وكما ذكرنا فى الفصل السادس، فإن تصاعد معاداة السامية سببه إسرائيل وسياساتها الصهيونية العدوانية. يسعى أحمدى نجاد،

---

(١) ليس أحمدى نجاد وحده هو من ينكر الهلوكوست. فقد أنكرها مؤرخون غربيون انتهى بهم الأمر إلى فقدان وظائفهم ومحاكمتهم. كما أن ثمة شبه إجماع على أن النازيين لم يرتكبوا البشاعات فى حق اليهود وحدهم بل فى حق كثير من الأقليات مثل العجرب بل وبعض الألمان المسيحيين، وكل من لا ينتمى للجنس الأرى. علاوة على ذلك، لم يتعرض يهود إسرائيل ومنشئوها فى غالبيتهم للاضطهاد، بل إن بعض مؤسسى الحركة الصهيونية تعاونوا مع النازيين فى مجالات عدة مالية وسياسية (انظر كتاب لنى برنر «٥١ وثيقة، تعاون الصهيونية مع النازيين») لكن إسرائيل جعلت من الهلوكوست صناعة تبتز بها الغرب وتُرهب بها كل من يحاول نقد سياسة إسرائيل. (انظر «صناعة الهلوكوست» للكاتب اليهودى نورمان فنكلشتاين) أما القول بأن إنكار الهلوكوست والمشاعر المعادية للسامية أصبحت منتشرة فى المنطقة فهو قول مغلوط، لأن المشاعر المنتشرة هى معاداة السامية والسياسة الإسرائيلية العدوانية التوسعية إذ إن «معاداة السامية» فكرة ومصطلحا وممارسة هى إبداع غريب ولا علاقة لعالمنا به. (الترجمة)

من خلال مثل تلك التصريحات إلى تعزيز وضع إيران في العالم الإسلامي وبخاصة في وقت يحاول فيه الساسة الغربيون والإعلام الكوكبي إثارة المشاعر المعادية للشيعية في المنطقة وبث الفتنة المذهبية.

وعلى الرغم من الدعاية الإعلامية حول برنامج إيران النووي فقد أوضح «تقرير الاستخبارات القومية NIE» الأمريكية حول إيران أنه ليس لدى إيران برنامج لإنتاج الأسلحة النووية على عكس ما تزعمه السى أى إيه. وعلى الرغم من ذلك أعلنت إدارة بوش وإسرائيل، في عام ٢٠٠٨، أن هذا التقرير لن يغير سياستهما تجاه إيران.

تذهب سيدة لطفیان، وهي متخصصة إيرانية تعارض إنتاج الأسلحة النووية، إلى أن تهديد إسرائيل والولايات المتحدة بشن عدوان مسلح على إيران، أدى إلى مناقشات في أوساط صناع القرار، والأكاديميين، والسياسيين في إيران حول القضايا النووية. وتحليلها لتلك النقاشات وجدت أن الإيرانيين من جميع الأطياف السياسية منقسمون إلى معسكرين يؤيد أحدهما المضى قدما في البرامج النووية ويعارضهم المعسكر الآخر. ومن موقعها كمعارضة، تؤكد لطفیان أن «من مسؤوليات المجتمع الدولي تلافى أية إجراءات قد تؤدي إلى رد فعل إيران إما بالانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووي أو الإسراع في تحديث أسلحتها».

تدعم غالبية الشعب الإيراني من جميع الانتماءات السياسية، وبغض النظر عما يوجهونه من نقد للحكومة، حق بلدهم في الدفاع عن نفسه ضد أي تهديد من إسرائيل أو الولايات المتحدة. يرى الشعب الإيراني إسرائيل على أنها قوة نووية كبرى لديها احتكار إقليمي للردع والابتزاز النوويين. وبوضعها كقوة نووية، فقد انتهكت إسرائيل دوما القانون

الدولى، ومضت تشن الهجمات على الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين وتوجه التهديدات ضد إيران بأسلوب مستدام. وفى هذا السياق، تدعم شعوب المنطقة امتلاك بلادهم للقوة النووية، ويتساءلون عن سبب تجاهل الولايات المتحدة وإسرائيل مطالبات مصر، وهى دولة حليفة للغرب وموقعة على معاهدة عدم الانتشار النووى، جعل الشرق الأوسط منطقة خالية من الأسلحة النووية. ذكرتُ فى تمهيدى لهذا الكتاب تعليق حارس الأحذية فى أحد مساجد القاهرة الذى امتدح به إيران وعبر عن أمنيته فى أن تمتلك إيران القنبلة. وتوضح التعليقات التى سمعتها والتى تعبر عن مشاعر مماثلة، شعبية إيران فى المنطقة، وكيف أن الكثيرين يرون تقدم إيران فى مجال التكنولوجيا وامتلاكها المعركة التكنولوجية واحتمال إنتاجها للأسلحة النووية على أنه رد إيجابى من دولة مسلمة على ممارسات الغرب وإسرائيل العدوانية فى المنطقة.

يرى باحثون ومعلقون من أمثال تشومسكى، أن الولايات المتحدة وإسرائيل تريدان منع إيران من امتلاك أسلحة نووية ليس لأنها ستشن عليهما أو على دول المنطقة هجوماً - لأن هذا سيكون انتحاراً بلا شك - بل لأن امتلاك إيران لمثل تلك الأسلحة سيجعل منها قوة ردع فى مواجهتهما. وتوضح العلاقات بين باكستان والهند وإسرائيل (وكلها دول نووية) وبين الغرب بما لا يدع مجالاً للشك أنه فى حال أصبحت إيران نظاماً عميلاً للغرب ستكسب كل الدعم لبرنامجها النووى بل وربما لإنتاج أسلحة نووية. ومن الواضح أن العداء الذى يبديه الغرب لبرنامج إيران النووى هو فى واقع الأمر بسبب أن إيران لم تعد دولة عميلة له ورغبته فى أن تصبح كذلك (الأمر الذى سيفيد بخاصة شركات النفط الأمريكية)، وأيضاً من أجل الحيلولة دون أن تطور إيران قدرات مستقلة

على توليد الكهرباء، وتوفر لنفسها الأمن في مجالات الطاقة المختلفة.

### دولة راعية للإرهاب:

ظلت الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وإسرائيل منذ ثورة ١٩٧٩ تتهم إيران بأنها دولة راعية للإرهاب، وهو عامل آخر يُستخدَم لإضفاء الشرعية على هجماتهم عليها. لكن فكرة تورط إيران في أية عمليات إرهابية، أو دعمها للإرهاب ليس لها أى أساس شرعى أو قانونى لأنه ليس ثمة دليل أو قرينة تدعم هذه المزاعم.

وكما أسلفنا، فإن دعم إيران لحماس وحزب الله ظل ذا طبيعة سياسية، علاوة على أن المنظمين قد تحولتا منذ الثمانينيات إلى حزبين سياسيين لهما تواجدهما فى الحياة السياسية لبلديهما. قد يقال إن كليهما جناحين عسكريين وإن بعض أنشطتهما شملت هجمات على مدنيين فى انتهاك للقانون الدولى، وإن بعض تلك الهجمات قد تعتبر «إرهاباً». لكن، وكما بيئنا فى الفصلين الرابع والسادس، فإن مساعدات إيران المالية للتنظيمين هى مساعدات حد أدنى كما أنهما ليسا بحاجة إلى دعم إيران العسكرى، إذ إنهما يستمدان جميع أنواع الدعم من شعوب المنطقة التى تعارض سياسات الولايات المتحدة وإسرائيل وممارساتهما العدوانية فى المنطقة.

يصور الساسة الغربيون والإعلام الغربى الشرق الأوسط على أنه منطقة يهيمن عليها المتطرفون الذين تدعمهم، جميعهم، إيران. وعلى النقيض من ذلك، فإن مجموعات الإسلام السياسى السائدة فى المنطقة تتسم بالاعتدال وتسعى لتحقيق أهدافها من خلال العمليات السياسية والانتخابية، أما هؤلاء الذين يستخدمون العنف والتطرف لبلوغ أهدافهم فهم الأقلية.

وفى الواقع، فإنه يمكن القول إن صعود التطرف فى المنطقة، وعلى مدى عقود، هو نتيجة للسياسات والعلاقات الدولية. إن المملكة العربية السعودية، إضافة إلى إسرائيل، هى أهم حليف للولايات المتحدة بالمنطقة. أثناء الحرب الباردة، عملت الولايات المتحدة عن عمد مع الإسلاميين المحافظين المرتبطين بالسعودية لمجابهة اليسار العلمانى والقوميين فى المنطقة، وهى سياسة استمرت طوال الحرب السوفىيتية فى أفغانستان حيث جندت الولايات المتحدة المجاهدين الأفغان وعبأتهم وسلحتهم ودربتهم لقتال الاتحاد السوفىيتى، أى أن الولايات المتحدة هى التى خلقت تنظيم القاعدة وطلبان الذين انقلبا عليها فيما بعد مما أدى إلى أحداث ١١/٩/٢٠٠١.

علاوة على ذلك، فقد أدى احتلال العراق وغزو أفغانستان إلى وجود أراض جديدة لتدريب الإرهابيين والباحثين يذهبون إلى أن التحكم فى موارد الطاقة فى الشرق الأوسط والهيمنة السياسية والثقافية على المنطقة أصبحت لها الأولوية على مجابهة الإرهاب الذى يهدد الولايات المتحدة وبريطانيا. وكان مؤتمر لندن الذى عقد فى يناير ٢٠١٠ دليلا على ذلك، إذ أعلن رؤساء الدول الغربية والأمم المتحدة والنايتو، أن بإمكانهم، بمساعدة المملكة العربية السعودية تبادل المصالح والتعاملات مع طالبان بل حتى السماح لها، وهى التنظيم المسلح المتطرف، بالمشاركة فى السلطة. وهكذا، وبعد ثماني سنوات من احتلال أفغانستان، وقتل ووفاة عشرات آلاف المدنيين والعسكريين، وتعاضم الفساد، وعدم تغير الأوضاع بالنسبة للشعب من حيث إتاحة فرص العمل والتعليم والرعاية الصحية أو تحسين وضع المرأة، يخطط الغرب

مرة أخرى للتواطؤ مع طالبان التي تتعاون مع تنظيم القاعدة وتتقاسم الأموال معها، والذين، معاً، يسيطرون على معظم البلد، ويمتلكون القدرة على الإطاحة بحكومة كرزاي. وفقاً لسوماس ميلن، فإن هذه السياسة لا تهدف إلى إنهاء الحرب حيث إن باراك أوباما مازال يرسل عشرات الآلاف من الجنود إلى أفغانستان، لكنها تهدف إلى شق صفوف طالبان والقاعدة كي تضمن الولايات المتحدة مصالحها الاقتصادية والسياسية في المنطقة.

### تراجع الهيمنة الأمريكية؛

يرى كالينيكوس (٢٠٠٢) وهارفي (٢٠٠٢) أن الولايات المتحدة تملك التفوق العسكري لكنها تواجه تحديات اقتصادية في الشرق الأوسط من أوروبا وروسيا والصين واليابان، التي تعتمد أيضاً على صادرات النفط [باستثناء روسيا] من المنطقة. أما الصين (تلك القوة الاقتصادية الكوكبية الصاعدة والتي تنافس الولايات المتحدة على مجالات سيطرتها)، فعلى الرغم مما للولايات المتحدة من تفوق عليها، فإن ذلك التفوق يكبحه بدرجة هائلة اعتمادها المفرط على تدفق رأس المال عليها من الصين ودول الشرق الأخرى. كان أحد أهداف «الحرب الكوكبية على الإرهاب» واحتلال العراق وغزو أفغانستان استخدام تفوق الولايات المتحدة العسكري لتعزيز سيطرتها على المنطقة وتذكير الجميع بتكلفة تحدى الهيمنة الأمريكية. بيد أنه، وعلى الرغم من أن ذلك التفوق العسكري كان كافياً لغزو أفغانستان والعراق واحتلالهما، فلم تتمكن الولايات المتحدة من التحكم في هذين البلدين أو في مواردهما، والنتيجة هي أن الولايات المتحدة وحلفاءها من النايو مازالوا غارقين في مستنقع تلك الحروب التي لا يمكن كسبها.

لتراجع هيمنة الولايات المتحدة تضميناته بالنسبة للتحالف بين إسرائيل وواشنطنون أيضا. يمثل مثل هذا التحالف قوة عسكرية هائلة مرعبة في مواجهة التهديد الذي تمثله الحركات الإسلامية (الذي يماثل تهديد القومية العربية في الماضي) واحتوائه. بيد أن تنامي الحركات الإسلامية في المنطقة، وانتصار حزب الله على إسرائيل في عام ٢٠٠٦، وفوز حماس في الانتخابات التشريعية [وصمودها في مواجهة العدوان الإسرائيلي]، تمثل جميعها صعوبات مماثلة لكل من الولايات المتحدة وإسرائيل. حينما هاجمت إسرائيل لبنان في عام ٢٠٠٦، رأت إدارة بوش في الحرب على حزب الله، حليف إيران، فرصة لإضعاف الجمهورية الإسلامية بيد أن هزيمة إسرائيل في تلك الحرب، ركز الأنظار بوضوح على مأزق شرعية أمريكا الدولية إذ إن واشنطن ولندن كانتا الداعمتين الوحيدتين [على المستوى العسكري واللوچستى] لإسرائيل في تلك الحرب. قوى انتصار حزب الله وضعه ووضع إيران، ومن ثم، أضعف قبضة إسرائيل والولايات المتحدة. وبالمثل، فقد أدى انسحاب إسرائيل من غزة إلى تقوية حماس.

كان وصول باراك أوباما إلى الرئاسة بعد إدارة جورج دبليو. بوش التي ساءت سمعتها في جميع أنحاء، محل ترحيب في أنحاء الكوكب، ورأى كثيرون في الولايات المتحدة أن هذا قد يؤدي إلى مداواة الجراح والندبات التي خلفها الاسترقاق والعنصرية في المجتمع الأمريكى. بيد أن السلطة التي يملكها رئيس الولايات المتحدة متناسجة بإحكام في سياسة واشنطن الخارجية، وبخاصة سياستها في الشرق الأوسط. ولهذا أهمية خاصة اليوم في وقت تصارع فيه واشنطن أزمة هيمنتها المتراجعة على النظام العالمى، تلك الهيمنة التي تتحداها الصين. من ثم،

نرى أن سياسة الولايات المتحدة التي تهدف إلى توكيد تحكمها الكوكبي على الموارد الاستراتيجية - والنفط بخاصة - وتوسيع مدى سطوتها عسكريا واقتصاديا وسياسيا مازالت مستمرة في عهد أوباما. اتضح هذا في خطاب أوباما الذي ألقاه أمام منظمة إيباك، اللوبي الإسرائيلي الرئيسي في الولايات المتحدة، قبل انتخابه وأكد فيه أن أمن إسرائيل مقدس وغير قابل للنقاش، وأن القدس ستظل عاصمة إسرائيل الموحدة الأبدية. كما أنه وعد إسرائيل بمساعدات قدرها ٢٠ مليار دولار على مدى السنوات العشر القادمة. كان خطابه بمناسبة العام الفارسي الجديد يوم ٢١ مارس ٢٠٠٩، وخطابه بجامعة القاهرة في ٤ يونيو ٢٠٠٩، قد ألحا إلى الخطو بعيداً عن سياسات بوش وتفهم لأسباب الاستياء من الغرب وعدم الثقة فيه في الشرق الأوسط، إلا أن كثيرين أظهروا تشككهم ورأوا أن خطابه كان بدون فحوى، وقد ثبت صحة هذا. لم تتعلم إدارة أوباما من فشل تلك السياسات وما أحدثته من قتل وتدمير لشعوب المنطقة، ولجيش الولايات المتحدة [بقدر]. من ثم، مازال فرض العقوبات، و«تغيير الأنظمة» وفرض «الديموقراطية» بأسلوب العراق وأفغانستان على الأجندة الأمريكية، ومازال تهديد إيران بالحرب قائماً. وعلى الرغم من أن أحادية القرار والتصرف غير محتملة في عهد أوباما، فإن استراتيجية تعددية الأطراف هي مجرد تعديل تكتيكي يعكس تكيفاً لإدراك أمريكا لحدود قوتها، لا إعادة توجه استراتيجي.

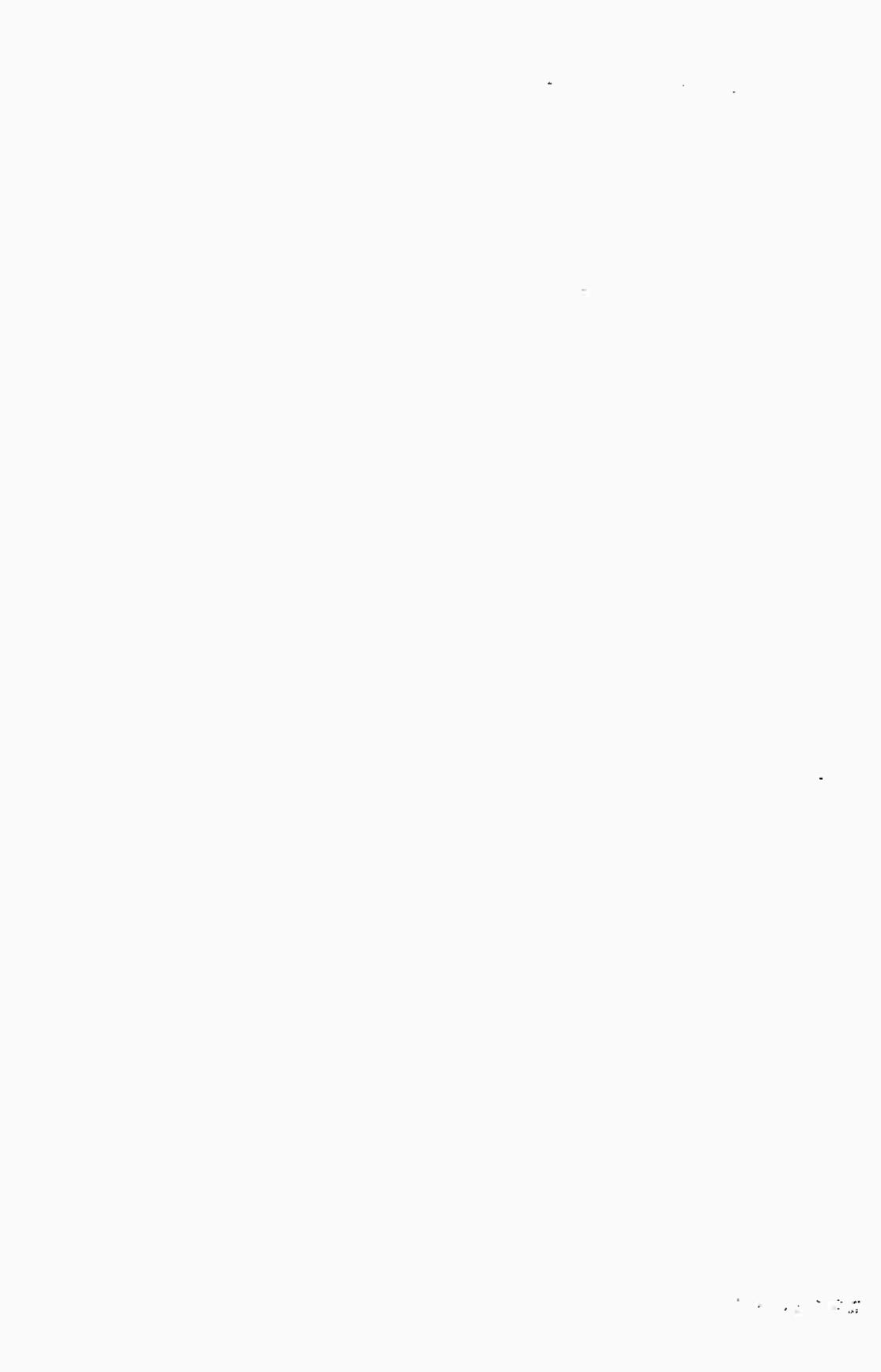
في فبراير ٢٠١٠، عاد أوباما إلى السياسة التي كانت سلطة دبليو. بوش قد انتهجتها إزاء إيران. ففيما ذهب دانييل بايبس، عضو المحافظين الجدد، إلى أن الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها أوباما إنقاذ موقعه الرئاسي هو قصف إيران، جددت إسرائيل تهديداتها بشن الحرب

على إيران وحلفائها، حزب الله في لبنان، وحماس في فلسطين. وحينما وافقت إيران على شحن اليورانيوم المخصب إلى الخارج لمعالجته وإعادته إليها على شكل قضبان وقود لأغراض الأبحاث، وكانت هذه صفقة تم الاتفاق عليها في جنيف في أكتوبر ٢٠٠٩، تجاهلت الولايات المتحدة والمسئولون الأوروبيون العرض وصاعدوا الاستعدادات العسكرية في الخليج. أمد أوباما الكويت، والإمارات العربية وقطر والسعودية والبحرين بما قيمته عشرات المليارات من الأسلحة الحديثة.

في مايو ٢٠١٠، طرح إعلان طهران المشترك بين البرازيل وتركيا وإيران حلا يضمن ممارسة إيران الكاملة لحقها المشروع للاستخدام السلمى للطاقة النووية، ويقدم فى نفس الوقت ضمانات بأن برنامج إيران هو حصريا للاستخدامات السلمية. أزال هذا الإعلان العقوبات السياسية من أمام اقتراح وكالة الطاقة الدولية عام ٢٠٠٩. غير الرئيس أوباما، الذى كان قد رحب فى إبريل ٢٠١٠ بتلك التفاوضات (إقناع إيران بإرسال ١٢٠٠ كجم من اليورانيوم منخفض التخصيب إلى تركيا لمبادلتها بقضبان وقود لمفاعل أبحاث طهران) غير موقفه بالكامل. تجاهلت وزيرة خارجيته، هيلارى كلينتون عرض البرازيل/ إيران/ تركيا وأعلنت بدلا من ذلك عن مشروع قرار لمجلس الأمن الدولى لقرض عقوبات جديدة أكثر تشدداً على إيران.

بإمكان التهديدات المستدامة بالضربات العسكرية، والعقوبات، والعمليات السرية وتمويل «تغيير النظام» القضاء على حركة الديمقراطية القاعدية فى إيران وزيادة تأثير إيران فى المنطقة. كان لإرسال أوباما لمزيد من البوارج والصواريخ إلى الخليج أثر سلبي على حركة الديمقراطية فى إيران إذ إن المحافظين داخل النظام يستخدمون

الضغوط الخارجية ذريعة إضافية للهجوم بضراوة على نشطاء الحركة. وفي هذا السياق، فإن التاريخ يكرر نفسه: دمر الغرب في الماضي الحركات العلمانية والقومية التي كانت تناضل من أجل الديمقراطية والاستقلال في إيران وأحاء أخرى من المنطقة؛ والآن، فهم يدمرون الإسلاميين المعتدلين من خلال التهديد المستدام بالتدخل العسكري. ووفقاً لأطروحة هذا الكتاب، تناضل شعوب المنطقة من أجل الديمقراطية والتحرر من الصهيونية والإمبريالية. أوضحت تجاربهم التاريخية أنه بدون الديمقراطية والاستقلال، تفتقد حكوماتهم الإرادة والشرعية لتنفيذ التنمية الاجتماعية/الاقتصادية والسياسية المستدامة. إن عدااء الغرب لإيران وللحركات الإسلامية المعتدلة الحداثيّة في المنطقة يزيد من العدااء السياسي للغرب ولدولة العميلة، وسيعمل في النهاية على تقوية التيارات الإسلامية المحافظة والمتشددة في المنطقة. يوضح تاريخ النضالات السابقة ومسار الحركات المعاصرة في المنطقة أن أنظمة الهيمنة والاستغلال الكوكبية والمحلية التي لا تعمل إلا لمصلحة القلة، ستواجه دائماً بالمقاومة. وفي هذا السياق، فحتى لو افترضنا المستحيل وأن حزب الله وحماس وإيران والإخوان المسلمين رأوا أنه من المناسب تغيير سياساتهم لتتطابق مع سياسات الولايات المتحدة وتضمن أن يكون لمصالح الولايات المتحدة الاقتصادية والسياسية الأفضلية على مصالح شعوبهم، فمن المحتم أن تظهر قوى تواصل المقاومة ضد مثل تلك التيارات والحكومات العميلة والإمبريالية والصهيونية.





---

صدر من هذه

السلسلة

- ١ - محمد (ص)
- ٢ - صدام الحضارات
- ٣ - عصر الجينات
- ٤ - القدس
- ٥ - العولة والعولة المضادة
- ٦ - التاريخ السرى للموساد
- ٧ - من يخاف استتساخ الإنسان؟
- ٨ - حريم محمد على
- ٩ - عولة الفقر
- ١٠ - صور حية من إيران
- ١١ - البحث عن العدل
- ١٢ - لورانس: ملك العرب غير المتوج
- ١٣ - الصهيونية تلتهم العرب
- ١٤ - معارك فى سبيل الإله
- ١٥ - التطبيع ومقاومة الغزوة الصهيونية
- ١٦ - التسوية: أى أرض.. أى سلام
- ١٧ - الكنز الكبير
- ١٨ - الحق يخاطب القوة
- ١٩ - نساء فى مواجهة نساء
- ٢٠ - مؤامرة الغرب الكبرى
- ٢١ - روسيا.. إلى أين
- ٢٢ - موسوعة الأم والطفل
- ٢٣ - الخدعة الرهيبية
- ٢٤ - نهاية الإنسان
- ٢٥ - خدعة التكنولوجيا
- ٢٦ - ٢٦٥ حنونة وحنونة
- ٢٧ - يوش ضد العراق ... لماذا؟
- ٢٨ - أين الخطأ؟
- ٢٩ - اللوب المزوج
- ٣٠ - رجال بيض أغبياء
- ٣١ - سادة العالم الجدد
- ٣٢ - الخطيئة الأولى لإسرائيل
- ٣٣ - اللعب مع الصغار
- ٣٤ - الإبادة السياسية
- ٣٥ - حكومة العالم السرية
- ٣٦ - ما بعد الإمبراطورية
- ٣٧ - يوش فى بابل
- ٣٨ - المقاومة العراقية.. ومستقبل النظام  
الدولى

- ٢٩ - تزيف الوعى
- ٤٠ - القانون فى خدمة من ؟
- ٤١ - كفى
- ٤٢ - معنى هذا كله
- ٤٣ - حياة بلا روابط
- ٤٤ - ٢٦٥ حذوة وحذوة
- ٤٥ - أنا والعملة .. عالم بديل ممكن..
- ٤٦ - جسدى سلاحاً
- ٤٧ - ثالث الشر
- ٤٨ - الحضارة الإسلامية المسيحية
- ٤٩ - أمريكا العظمى.. أحزان الإمبراطورية
- ٥٠ - الطريقُ إلى السُوَيْرْمَان
- ٥١ - مدربون على القتل
- ٥٢ - معاداة السامية الجديدة
- ٥٣ - إبادة العالم الثالث
- ٥٤ - بيولوجيا الخوف
- ٥٥ - لغز اسمه الأكم
- ٥٦ - تعليم بلا دموع
- ٥٧ - أحمد مستجير
- ٥٨ - العين بالعين
- ٥٩ - شافيز
- ٦٠ - قصص الأشباح
- ٦١ - حزب الله
- ٦٢ - الإنسان هو الحل
- ٦٣ - السيارات المفخخة
- ٦٤ - بلاكووتر
- ٦٥ - حضارتهم وخلصنا
- ٦٦ - نحو الحرية.. نلسون منديلا
- ٦٧ - العهد
- ٦٨ - مزرعة الحيوانات
- ٦٩ - أطفال الإنترنت
- ٧٠ - لعبة الملايين
- ٧١ - تجارة الجنس
- ٧٢ - الأمريكى الساذج
- ٧٣ - الأبرياء
- ٧٤ - الشباب والجنس
- ٧٥ - التربية من عام إلى عشرين عام
- ٧٦ - فلورانس وإداورد

- ٧٧- الجهاد في سبيل الحقيقة
- ٧٨- غاندي (٢)، رؤي، تأملات، اعترافات
- ٧٩- شرف البنيت
- ٨٠- الزواج المحرم
- ٨١- أنبياء مزيفون
- ٨٢- إمبراطورية العار
- ٨٣- اختطاف أمريكا
- ٨٤- شريعة الجستابو
- ٨٥- رومانسية العلم
- ٨٦- اختفاء فلسطين
- ٨٧- من هم إسرائيل
- ٨٨- ثلاثون كتاب في كتاب
- ٨٩- اقتصاد الاحتيايل البريء
- ٩٠- الله.. لماذا؟
- ٩١- الأمراض المعدية
- ٩٢- الطريق إلي بئر سبع
- ٩٣- مجمع الشيطان
- ٩٤- في ذكرى المقاومة
- ٩٥- خطابا تحرير المرأة
- ٩٦- دساتير من ورق؟
- ٩٧- صنّاع الملوك
- ٩٨- صناعة الأكاذيب
- ٩٩- عندما تحكم الصين العالم
- ١٠١- الحركة العامة للاقتصاد المصرى فى نصف قرن
- ١٠٢- رحلة السندياد
- ١٠٣- وجه أوباما الأبيض
- ١٠٤- تشى جيفارا سيرة للنشء
- ١٠٥- أنا أقترض.. أنا موجود
- ١٠٦- قصة فيس بوك
- ١٠٧- غواية الرجال

## قائمة المحتويات

٧	..... تمهيد
١١	..... مقبلة
٣٩	..... ١- الإرث الثوري
٦٩	..... ٢- الإصلاحيون والمحافظةون والنضال من أجل الديمقراطية
١١٣	..... ٣- الإسلاميون المحدثون
١٣٩	..... ٤- علاقة إيران بلبنان وحزب الله
١٧٣	..... ٥- العلاقة بين إيران والعراق
٢٠٧	..... ٦- العلاقة بين إيران وفلسطين وحماس
٢٤٩	..... ٧- العلاقة بين إيران ومصر
٢٨٣	..... ٨- السياق الكوكبي للدولة والمجتمع في إيران

